حركة ٩ ايوليو ١٩٧١
علامة مضيئة على درب انتصار شعبنا

محجوب:

الجبهة الوطنية الديمقراطية هي التنظيم السياسي الوحيد الذي نقبله

تنشر الهدف على حلقات ملفا هاما عن الثورة السودانية والمراحل التاريخية التي مرت بها . ويجيء هذا الملف مع حلول الذكرى الثامنة لاستشهاد الرفيق القائد عبد الخالق محجوب ومجموعة من الرفاق اعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني والحركة النقابية السودانية . وفيما يلي الحلقة الاولى :
٨ سنوات على استشهاد القائد عبد الخالق محجوب : مؤسس الحزب الشيوعي السوداني والحركة الثورية في السودان .

(٢٨ سبتمبر ١٩٧١ ـ ٢٨ سبتمبر ١٩٧٩)

لمحة من حياة وفكر عبد الخالق محجوب

« ان تاريخ حزبنا وحاجات الثورة الوطنية الديمقراطية ، تؤكد ان التنظيم السياسي الوحيد الذي نقبله ونشترك فيه هو الجبهة الوطنية الديمقراطية القائمة على تحالف الجماهير الثورية والتي يدخلها حزب الطبقة العاملة كتنظيم مستقل فكريا وتنظيميا . اي حق العمل المستقل والتبشير بالماركسية اللينينية ، له تنظيماته القاعدية والقيادية المستقلة ، وهو ـ اي الحزب ـ الذي يحدد مندوبيه في لجان الجبهة من ادنى المستويات الى اعلاها . وهذا جزء من برنامجنا الذي اقره المؤتمر الرابع لحزبنا المعبر عن رأي عضوية الحزب الشيوعي بأسرها ، وعن الحاجات التاريخية للثورة الديمقراطية وفقا لتحليلنا المجتمعنا على اساس الماركسية اللينينية . واستنادا الى هذا يرفض حزبنا المشاركة في اي تنظيم سياسي لا يأخذ بهذه الصيغة .

« ان طرح خط العمل في التنظيمات وان كانت رجعية (النقابات الرجعية ، البرلمانات البرجوازية ... الخ) غير وارد هنا ، لان الحزب في مثل هذه التنظيمات يرسل بمندوبيه ويتحكم في تصرفاتهم وهم يستهدفون شرح مواقفه للجماهير . اما في حالة التنظيم السياسي على الصورة التي يراد اخراجها ، فان الشيوعيين سينتقلون من ايديولوجيتهم الى ايديولوجية اخرى ، انهم سيدخلون في مصيدة تفسخ الحزب الشيوعي في الأخرة كمؤسسة تابعة للتنظيم الرسمي . وروبدا روبدا يصبح تنظيما لا فاعلية له ، وينشئت اعضاؤه ، ثم توجه الضربة لقلب الحزب ولكادره الموثوق به والمتمسك بالماركسية اللينينية .

« ان يصدر حزبنا موافقه من حقيقة ان حركة الشعب الثورية وحزبنا قوى حاسمة لا يستهان بها على الاطلاق في نظر كل فئة اجتماعية تريد ان تنشط في ميادين العمل السياسي . فالحزب الشيوعي يقترب الى ربع قرن من عمره ، وهو جزء من حركة الطبقة العاملة العالمية والحركة الشيوعية ، انه مرتبط ارتباطا وثيقا بحركة الثورة العربية ولا يمكن عزله عنها ، ونحن اقوى الاحزاب في منطقتنا صلة بالجماهير الشعبية .

« ان الاتجاه اليميني الذي يقلل من شان هذه العوامل خطر ، ويحاول دفع الحزب الشيوعي الى مراكز خلفية . ولهذا فنحن نرفض هذا الاتجاه .

« ولكي يسخر حزبنا هذه الامكانات الكبيرة ، فانه لا بد ان يهيء صفوفه للظروف الراهنة ، ولكل احتمالات المستقبل . في مثل هذه الساعات الحاسمة ،

فان العناصر المترددة واليمينية تطعن حزبنا من خلفه ، ولهذا فلا بد من البت السريع في عديد من القضايا » .

من رسالة الشهيد عبد الخالق محجوب من منفاه بالقاهرة الى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني بتاريخ ١٧ ابريل ـ ١٩٧٠.

★★★

في ظروفنا الراهنة نحتفل بهدوء وتواضع بالذكرى الثامنة لاستشهاد المناضل عبد الخالق محجوب المؤسس والقائد التاريخي للحزب الشيوعي السوداني ، ورفيقيه المناضلين الشفيع احمد الشيخ وجوزيف قرنق ابرز قادة الحركة الثورية السودانية ، على أعواد مشانق زمرة نميري الديكتاتوري الرجعية في اعقاب ردة ٢٢ يوليو اليمينية الدموية في عام ١٩٧١ .

في هذه المناسبة الجليلة ونحن نحيي ذكرى شهداء الحزب الشيوعي ، لا يمكن ان نتجاوز ذكرى شهداء الحركة الديمقراطية الثورية في القوات المسلحة السودانية من قادة انتفاضة ١٩ يوليو الثورية الابطال الشهداء : هاشم العطا ، بابكر النور ، فاروق حمد الله ، عثمان حاج حسين ابو شيبة ، عبد المنعم محمد احمد ، محجوب ابراهيم ، عبد الحي ، محمد احمد الريح ، محمد احمد الزين ، بشير عبد الرزاق واحمد ابراهيم . ان هؤلاء الشهداء الخالدين جزء لا يتجزأ من الراية التي ناضل ويناضل في ظلها الحزب الشيوعي في السودان ، راية الثورة السودانية الوطنية الديمقراطية ، راية الديمقراطية والاشتراكية والتطور التقدمي المستقل لشعبنا وشعوب الامة العربية وشعوب القارة الافريقية، ان حركة ١٩ يوليو ١٩٧١ التي نمر الان ذكراها الثامنة ، دخلت التاريخ الثوري

انضال الديمقراطيين والشيوعيين السودانيين ، وهو في يقيننا المجرى العام والرئيسي لكفاح شعب السودان من اجل التحرر . ومهما تكن التجربة مرة ودامية ومأساوية ، الا انها علامة مضيئة بارزة وشامخة على درب الانتصار المقبل لشعبنا .

في تقييمها الاولي لانتفاضة ١٩ يوليو ، اوردت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوداني في تقرير دوريتها في سبتمبر ـ نوفمبر ، ١٩٧١ ، اثر ردة ٢٢ يوليو اليمينية الدموية ، وفي اوج انشغالها بالقضية الاساسية الملحة وهي قضية تأمين الحزب وقيادته وكادره الاساسي في ظل الظروف الخطرة التي تمخضت عن واقع انتصار الثورة المضادة في السودان ـ اوردت وسجلت للتاريخ الاتي :

« تكتيكات الحزب الاساسية ثابتة ، ولم يتخل عنها الحزب . ورغم حملات التضليل ، فاننا نتمسك ببيانات ومواقف الحزب في مساء ١٩ يوليو وبرامجها وتشريعاتها وقراراتها وشهدائها . نناضل ونوحد كل القوى الشعبية ضد نظام الردة ونرفع شعار اسقاطه » .

« لا جدال في ان الحزب الشيوعي السوداني سيصمد ويستعيد مواقعه بين جماهير الطبقة العاملة والحركة الديمقراطية ، ويدفع من صفوفه بمزيد من الشهداء في سبيل الحفاظ على كيانه ودفع الثورة الديمقراطية الى الامام . وسيتعلم الحزب الشيوعي وتتعلم معه قوى الثورة الديمقراطية دروسا غالية تزيدهم صلابة وحكمة من انتصار ١٩ يوليو وانتكاستها . سيتعلم الثوريون السودانيون كيف يدافعون عن ثورتهم بالحسم الاتي بالثوريين والثورات ، وبحمون انتصاراتهم بتصميم لا يعرف الاعتبارات والتردد . فالتهاون في حماية الثورة وسلطتها جريمة لا يغفرها التاريخ للثوريين ان لم يستخلصوا منها العبرة لمستقبل نضالهم ، وانقان اوليات علم الثورة وفق النضال الثوري ليس فقط في انتزاع السلطة ، ولكن في المحافظة عليها ، ليس فقط في بداية الهجوم ولكن في مواصلته مهما كانت التضحيات . ولولا التساهل والتسامح في هذا الجانب لما انتصرت الردة الدموية والثورة المضادة . ولم نغب عنا الاحتياطات العملية التي كان يجب اتخاذها في أكثر من ميدان كما يشير الخطاب الدوري للجنة المركزية مساء ١٩ يوليو . على ان هذا التسامح وذلك التساهل لم تثبت جذوره في ١٩ يوليو ، انما ورثته عن الفترة التي اعقبت انقلاب ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ وربما قبله بكثير » .

« ان انتفاضة ١٩ يوليو التي يتحمل شرف تنظيمها وانجازها تنظيم الضباط الاحرار، احدى الفصائل النشطة والعريقة في هيكل الجبهة الوطنية الديمقراطية، ستظل معلما بارزا في طريق ثورتنا . وستبقى مساهمة الحزب في تأييدها ودعمها مع القوى التقدمية الاخرى من أبرز المعالم في تاريخ نضالنا . كما تقدم عوامل ضعفها وأسباب انتكاستها ـ الداخلية والخارجية ـ دروسا لتطوير العمل الثوري وتوفير كل شروط النصر لنهوض شعبنا المقبل . وستظل اسماء شهدائها مسطرة الى الابد في اتصع صفحات تاريخنا ، وستظل نحن نتحمل المسؤولية ، كل المسؤولية، بنفس الثبات والشموخ الذي قابلوا به التعذيب والتنكيل وشرف الاستشهاد ، وبنفس القدرة والشجاعة في استخلاص الدروس ومعالجة الاخطاء واستكمال النقائص وسد الثغرات في النشاط الثوري » .

« التعجل الذي صاحب تنفيذ العملية العسكرية ، والفترة القصيرة التي دامت فيها السلطة الجديدة ، لم تحجب حقيقة ومضمون ما حدث . ان نجاح انتفاضة الضباط والجنود الاحرار ومساندة الحركة الديمقراطية لهذا النجاح ، واستمرار سلطة ١٩ يوليو لاربعة ايام مجيدة عرضت فيها برنامجا وسياسة وجدت الترحيب من الجماهير ، وبدات حركة التاييد تاخذ شكلها الايجابي حتى توجها موكب الخميس ٢٢ يوليو . وكان لموقف سلطة ١٩ يوليو الحاسم والواضح تجاه صيانة الاستقلال وسيادة حكم القانون وتصفية ادوات الارهاب والتجسس اثره الواضح والعميق بين الاوساط الوطنية . وظهر من خلال حركة التاييد وفي حدودها تلك ، الدور النشط للطبقة العاملة وتفهمها لعمق التغيير الذي حدث .

« هناك اسباب وعوامل اصبحت اليوم واضحة ، جعلت الضباط والجنود الاحرار يقلبون استعدادهم العسكري لتغيير السلطة . ولكن هذا لا يشكل وحده الثغرات ونواحي الضعف . فكل محك ثوري تصاحبه نواحي ضعف وثغرات ، الا انها لا تتحول الى سبب في نسفه وتصفيته الا اذا كانت القوى المضادة التي تستغلها ذات وزن وأثر . وهنا نجد ان في داخل البلاد وخلال تلك الايام الاربعة ، لم تكن لاية قوة القدرة على التحرك بمفردها في ذلك الوقت المبكر لولا التآمر والتحريض الخارجي » .

كما ان عزلة السلطة القديمة وضعفها وازمتها العميقة جعلت الانتصار العسكري سهلا وخاطفا والتجاوب الشعبي (عدم الاندهاش والاستغراب من ازالتها) عاما وسريعا . وخلق هذا الوضع جوا من التساهل وعدم اليقظة تجاه الوضع العسكري والاجراءات الدقيقة لتأمين السلطة والانتصار الاول. وكانت كل الامكانيات متوفرة للتأمين وسد الثغرات بتسليح فصائل الجماهير الثورية التي تعلمت خلال تجاربها الطويلة أهمية هذا العمل في حماية ظهر تحركاتها ونشاطها . ادى هذا الضعف الى كشف ظهر السلطة وجعل الحركة الثورية تهمل في مراعاة اهم قوانين الدفاع عن الثورة : تأمين انتصاراتها الاولية بلا رحمة او شفقة . وكانت اللجنة المركزية للحزب قد وضعت هذا الواجب في مقدمة الواجبات في خطابها رقم (١١)، بعد انتصار الحركة . والدفاع عن السلطة الجديدة وكيلا تصبح حركة الجماهير وهي تستكمل التغيير الثوري مهددة بخطر المغامرين والانقلابيين في الجيش النظامي . وكان قادة ١٩ يوليو يعلمون تحركات واستعدادات جهتين على الاقل قالتا تعملان لاحداث انقلاب منذ شهر مايو وان قوات تلك الجهات شبه مستعدة .

ويمكن تلخيص التدخل لاجهاض الثورة في :

دور الكلية العسكرية المصرية بجبل اولياء وقاعدة الطيران المصري في وادي سيدنا ودور الملحق العسكري المصري ـ الطائرة التي وصلت من القاهرة تحت ستار انها تحمل رسالة من السادات وشخصيات معروفة بقربها وصلتها بالتقدميين في السودان . وتعبئة مظليين مصريين وتحضير وتجهيز الطائرات لنقل القوات السودانية من قناة السويس ـ السماح لخالد حسن عباس بالاتصال بالقوات السودانية في الجبهة وتحريضها وما تبع ذلك من تمرد في صفوفها واحتجاز قسم منها في سجن كوبر بعد وصولها . ولعبت اذاعة لندن واميركا دورا واضحا ومحددا في تعبئة كل القوى البعيدة والقريبة ضد الخطر الشيوعي في السودان .

اتخذ قادة ١٩ يوليو موقفا متهاونا من عناصر النظام القديم وخاصة مجلس الثورة . ولم يدركوا انهم قد اصبحوا منذ انقلاب ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ جسرا للقوة اليمينية والثورة المضادة ومركزا لتجمع القوى المعادية للتقدم والشيوعية وكل القوى الراغبة في تصفية الثورة ، واصبح منبرا للردة وليست قوى الردة سوى منبر تلتف حوله ضد ١٩ يوليو في ايامها الاولى .

واذا كانت ١٩ يوليو قد انفجرت بغرض التصحيح فان واقع الاحداث كان يشير الى انها ما كانت لتحصر نفسها في ذلك الحيز ، بل اصبحت دفعة جديدة للثورة وتغيير ميزان القوى لمصلحة القوى الديمقراطية . كانت حسما للمشكلة الاساسية وهي .. في أي اتجاه تسير الثورة ؟ في اتجاه الطريق غير الراسمالي ام طريق التبعية والتنمية الراسمالية ؟ وهي المشكلة التي كانت مطروحة بعد ٢٥ مايو ١٩٦٩ . وظل الصراع دائرا حولها حتى حسمته الطفمة في ١٦ نوفمبر ١٩٧٠ لصالح الخط اليميني ـ خط تجميد الثورة ومصادرة الديمقراطية ، والسير في طريق الحزب الواحد والديكتاتورية وفتح الطريق لانتصار اليمين والثورة ◀